الادب التفاعلي في الوطن العربي –واقع وأفاق–

الدكتورة: سبيعي حكيمة*
كلية الآداب واللغة العربية
جامعة بسكرة – الجزائر–

الملخص:

ان من اكبر انجازات العمل البشري في هذا العصر هذه الالة العجيبة، وهذه الشاشة الزرقاء التي خطفت العقول قبل الأبصار واعني بها الحاسوب، بالإضافة الى ما صاحبه من ثورة معلوماتية قلبت الأمور رأسا على عقب، وأصبح الداخل فيها ليس أكثر أمنا وسلامة من المنطوي خارج حدودها، كيف لا وهي سيل جارف يجرف كل من لم يتسلح بما يضمن له الثبات والحفاظ على جذوره وهويته ومبادئه.

هذه الثورة شملت كل نواحي الحياة سياسية كانت أم اقتصادية أم اجتماعية أم ثقافية بالخصوص ومن أهم الجوانب التي تتصل بثقافة امة ما منتوجها الأدبي، فهو وجهها السافر عن جمال ذوقها ورهيف أحاسيسها ومجموع أمالها وآلامها، بل هو الأمة ذاتها هوية وانتماء لذلك نرى تغير أشكال الاستعمار في هذا العصر ونحوه نحو استغلال هذا الجانب وسيلته في ذلك ما أبدعته الثورة الاتصالية والمعلوماتية فكان لزاما على كل امة كي تحافظ على سيرها في ركب التطور وتحفظ كينونتها وخصوصياتها ولا تصهرها نار الاستعمار الجديد أن تولي أدبها كبير اهتماما إنتاجا وتحريرا ونشرا وتنويرا بل رقيا وتطويرا بما يلائم ثقافة العصر وبما يضمن لها السير إلى الأمام والأمة العربية تملك من المؤهلات ما يجعلها تطمح لريادة الأمم كونها تملك لغة حية سامية وأدب راقي وطاقة بشرية هائلة فما عليها إلا اللحاق بالركب بفكر نير وبأسلوب عصري متطور وفقا لما يتطلبه العصر من إمكانات وعلوم وهاهي الأمم الأخرى شرقية كانت أم غربية قد قطعت أشواطا كبيرة في عالم المعلوماتية وتصدير أدبها بما يخدم مصالحها وقد نتجت عن هذه المزاوجة بين الأدب وتكنولوجيا المعلوماتية أنماطا وأشكالا وأجناسا جديدة ومتنوعة والفجوة بيننا وبينهم ما فتئت تتسع يوما بعد يوم نظرا لانغلاقنا على الذات من جهة وأيضا هذا الأخذ والرد والشد والمد والرفض والقبول والنقاش الحاد بين المثقفين والأدباء حول هذا الأمر من جهة أخرى نظرا لبعض الإشكالات التي ما تزال تطرح بجدة منها على الخصوص:

- هل يمكن أن يكون هذا المنتج الأدبي الرقمي بديلا لما الفته طباعنا أو على الأقل يضاهيه او يدانية ؟
- هل يصلح أن يكون معبرا عن ذات الأمة وهمومها؟
- هل حقا أنتج أجناسنا أدبية جديدة تعبر بصدق عن روح العصر؟ وان كانت كذلك في أي إطار يمكن تصنيفها ؟
- هل بهذا الشكل تغيرت معطيات الإبداع والتلقي ونتائجهما ؟

في عمله الرقمي الجديد "صقيع" يتابع الأديب الأردني محمد سناجلة مشروع أدب الواقعية الرقمية الذي بدأه بروايتي "ظلال الواحد" عام 2001 و"شات" عام 2005، غير أن هذا العمل الجديد يختلف عن سابقيه في كون المؤلف يوظف جميع عناصر التكنولوجيا الرقمية لخدمة النص الأدبي الذي يبدو بأنه قصة قصيرة غير أنه يحمل في ثناياه قصيدتي شعر، ما يجعل القارئ يحار تحديد ماهية هذا الجنس الأدبي، أضف إلى ذلك أن سناجلة يستخدم تقنية (الوسائط المتعدد) مستعينا بعدد كبير من الصور المتحركة، والمؤثرات الصوتية التي تجعل النص مزيجا بين السرد الأدبي والموسيقى والسينما.[1]

* أستاذة محاضرة قسم أ، قسم الادب العربي، جامعة بسكرة، h.sebai@univ-biskra.dz

ويعرّف سناجلة "كتابة الواقعية الرقمية" بأنها: «تلك الكتابة التي تستخدم الأشكال الجديدة (اللغة الجديدة) التي أنتجها العصر الرقمي، وبالذات تقنية النص المترابط (الهايبرتكست)، ومؤثرات المالتي ميديا (الوسائط المتعددة) المختلفة من صورة وصوت وحركة وفن الجرافيك والأنيميشنز المختلفة، وتدخلها ضمن بنية الفعل الكتابي الإبداعي. وهي أيضا تلك الكتابة التي تعبر عن التحولات التي ترافق الإنسان بانتقاله من كينونته الأولى كإنسان واقعي إلى كينونته الجديدة كإنسان رقمي افتراضي ».[2]

يقول الدكتور محمد حسين حبيب: « أنا أعترف بأننا سوف نفقد جزءًا من حميمية اللقاء المادي والروحي والمباشر ما بين المشاهد والممثل والمسرحي، لكننا في المقابل سوف نحقق حميمية من نوع آخر، ولقاء يمتلك روحية أخرى جديدة هي غير مادية، لكنه لقاء يكتسح الزمان والمكان... إنه أمر غريب حقًا، شعوري الآن وكأني أقف خلف الستارة بانتظار العرض، الرجفة المشروعة ذاتها التي تحيطنا ونحن على الخشبة، أمرتهم في البيت أن لا يكلمني أحد، هكذا أحسسن، سأكون في حالة استعداد أفضل على الرغم من أني لا أتقمص أي دور لكن شيئًا ما تقمصني... لقد تحولت شاشة الكومبيوتر إلى جمهور الذي أوجهه، أراه ويراني، يا لها من لحظات جديدة وغريبة فعلاً ».[3]

في تجربة الكاتب محمد سناجلة، نلاحظ أن المتخيل حاضر بقوة في تشكيل الحكاية، كما أن وضعية هذا المتخيل تسمح بتحرير الذاكرة (ذاكرة القارئ) من سلطة الواقعي الرقمي، ونجد نفس الشيء في تجارب غربية فرنسية مثلا حيث نلاحظ خاصة في الرواية الرقمية أن السرد ما يزال يحتفظ بقوته، والحكي يتحكم في بناء النص، بل يمكن اعتبار المكونات الرقمية عاملا وظيفيا وفنيا وجماليا يساهم في الارتقاء باللحظة المتخيلة للنص الحكائي في وضعية النصوص السردية. [4]

❖ قراءة في رواية "صقيع" لمحمد سناجلة:

يعرّف سناجلة "صقيع" بأنها: « حدث وأحلام وكوابيس وشخصيات وخط سردي متنام يصل لذروته، ثم لحظة الإضاءة الأخيرة التي تكشف فكرة العمل كله، وهذه تقنيات تستخدم في القصص القصيرة». الاستخدام للعديد من المؤثرات، لغة جديدة لهذا الأدب الجديد. الصورة قبل الكلمة، الحركة مع الصوت مشاركان أساسيان، اللون والخط مشاركان أساسيان هناك عشر روابط يتم من خلالها الانتقال إلى صورة أو عدة صور، منها إلى قصائد شعرية...

يبدأ قصته بمشهد يصور فيه ليلة شتائية حالكة البرودة يتخللها تساقط الثلوج وصوت الريح وعواء الذئاب، ثم يصوّر غرفة صغيرة فيها جل يحتسي الخمر وحيدا، وتبدأ الرواية الريح تعوي في الخارج كذئاب قرّها الجوع فناحت، فتنتاب المتلقي مشاعر الإحساس بالبرودة الجسدية والنفسية، يبدو مشهد الثلج ورعشة أفرع الأشجار مع ظلمة الليل الدامس، مشهدا تمهيديا لموضوع القصة، وإضافة للمعنى المباشر للكلمة / العنوان.

يستخدم الكاتب عددا من الصور والأخلية داخل الكلمات ويدعمها بالمؤثرات الصوتية "صوت الرعد والمطر" التي تصاحب القراءة، إضافة إلى استخدام تقنية النص المترابط الذي يحاول الكاتب من خلاله تجسيد الفكرة عبر صور متحركة من خلال استخدامه لمجموعة من الروابط تفضي إلى التعرف على الحالة النفسية والجسدية لبطل القصة.[5]

وهكذا تتوالى المشاهد، حيث الشخصية المحورية تعيش الوحدة، وحيدا داخل غرفه شبه مظلمة، يحتسى آلامه التي نتوقعها مع شراب الخمر، لعله الوجه المعبر عن الصقيع النفسي الذي يعيشه، وتتوالى المشاهدة التي تبرز تلك الوحدة حتى مع زوجته التي ترفضه زوجا ورفيقا في الحياة فهي (أي الزوجة) الوجه الآخر المعبر عن الصقيع النفسي قبل الصقيع المناخي الذي يلقى بظلاله على الشاشة والى عيني ونفس المشاهد. [6]

ومن خلال استخدام تقنية النص المترابط وبضغطة على رابط ننتقل إلى مشهد آخر يصور حالة بطل القصة النفسية والجسدية ليتابع السرد والمشاهد، فهناك عشر روابط يتم من خلالها الانتقال إلى صورة أو عدة صور، منها لقصائد شعرية...، ومع رابط آخر ننتقل إلى القصيدة الرقمية الأولى داخل النص.

فرواية الواقعية الرقمية تختلف في بعض الجوانب عن الرواية التفاعلية، هذه الأخيرة كما سبق التعريف بها هي تلك الرواية التي يستثمر فيها الكاتب تقنيات النص المترابط، وما يوفره من روابط متعددة الوسائط؛ من نصوص وصور (ثابتة أو متحركة) وأصوات...الخ، أما رواية الواقعية الرقمية؛ وإن كانت تعتمد على ما تعتمد عليه الرواية التفاعلية، إلا أنها تختلف عنها في كونها «تستخدم الأشكال الجديدة التي أنتجها العصر، وإنسان هذا العصر (الإنسان الافتراضي) الذي يعيش ضمن المجتمع الافتراضي، وهي أيضا تلك الرواية التي تعبّر عن التحوّلات التي ترافق الإنسان بانتقاله من الواقعية إلى الافتراضية ».[7]

في رواية "ظلال الواحد" التي نشرها رقميا عام 2001 وورقيا عام 2002م، استخدم في بنائها ما يعرف بتقنية النص المترابط (Hypertexte) وذلك في البنية السردية نفسها، حيث كان النص ينتقل من رابط إلى آخر في بنية شجرية دائرية، فقد بدأت الرواية على شكل جذر تتشابه اشتباكاته ثم ساق ثم أغصان ثم تكسو الأغصان أوراق لتكتمل الشجرة، وهذه التقنية في الكتابة هي نفسها المستخدمة في بناء صفحات الانترنت، كما استخدام فيها بعضا من المؤثرات السمعية والبصرية، هذا بالنسبة للشكل، أما المضمون فقد تمت صياغته بحسب نظرية رواية الواقعية الرقمية وفلسفتها، فالزمن ثابت يساوي واحد والمكان نهاية تقترب من الصفر.[8]

شهدت الساحة الأدبية حراكًا ثقافيًا نوعيًا يتخذ وجهة جديدة من خلال محاكاة تجارب جديدة في الكتابة الحديثة تسمى بالكتابة الرقمية، فظهور الوسائط والأدوات الجديدة اتصالاً ومعرفيًا طرحت نفسها بقوة لقيادة موجة من التغيير في بنية الذهنية الكتابية، لكن هذه الموجة مازالت في إطار التنظير، حتى أنه لا يوجد إلا تجارب نقدية محدودة تناولت الظاهرة بالدراسة والنقد.

منذ حوالي عشرين عامًا ظهر في الساحة الأدبية إنتاج أدبي يقرأ على شاشة الكمبيوتر، ومن خصائصه أنه يقوم بدمج الوسائط الالكترونية المتعددة، نصية وصوتية وصورية وحركية في الكتابة في فضاء يسمح للقارئ بالتحكم فيه.

وقد سمي هذا الإنتاج بالأدب الالكتروني أو الأدب الرقمي، كما ينعت أيضًا بالأدب التفاعلي، إن محاولة تحديد مفهوم للأدب الالكتروني جعلنا نناقش مختلف المفاهيم التي تقدم لضبط مصطلح هذا النوع الجديد من الأدب وفي الوقت نفسه نتساءل عن المميزات التي جعلته مختلفًا عن الأدب التقليدي الورقي المطبوع لدرجة جعلته يصنف بالنوع أو الجنس الجديد.

فـي أمريكـا يـتم اسـتعمال مصـطلح الـنص المتـرابط (hypertext) وفـي أوروبـا يـتم توظيـف مصـطلح الرقمـي numerique والتفـاعلي interactif، أمـا فـي الفرنسـية ابتـدئ باسـتعمال مصـطلح الأدب المعلومـاتي informatique باعتباره الجامع لمختلف الممارسات التي تحققت من خلال علاقة الأدب بالحاسوب والمعلوماتيات حيث تم عقد مؤتمر بباريس عام 1994 تحت عنوان (الأدب والمعلومات) لدراسة هذه العلاقة ليظهر فيما بعد وبالضبط، سنة 2006 مصطلح جديد بعنوان الأدب الرقمي literature numerique، وبين هذين المصطلحين نجد مصطلحات سبق وأن أشرنا إليها للدلالة على هذا النوع.

فالأدب الالكتروني يركز على شكل النص الجديد وتكنولوجيا المعلومات من اشتغال الوحدة المركزية، أم الأدب الرقمي الذي يستعمل في المدرستين الفرنسية والانجليزية، فوصفه بالرقمية يعود إلى أن الرقمية هي الطريقة الجديدة في عرض الأدب من خلال النظام الرقمي الثنائي (1/0) والذي يقوم على جهاز الحاسوب، أما المترابط فهو يركز على تقنية الترابط التي تنظم النص الأدبي بناء على ما تقدمه المعلومات من روابط يجمع بينها متيحًا بذلك للمستخدم أو المتلقي الانتقال من نص لآخر حسب حاجته.

أما الأدب التفاعلي فيركز على خاصية التفاعل والتبادل المتعلق بنظام الكتروني، اتصالي بحيث يكون الجواب فيه مباشراً ومتواصلاً من خلال الحاسوب الذي يحقق التفاعل في أقصى درجاته ومستوياته بين النص وعلاماته بعضها ببعض(اللغة، الصورة، الصوت، الحركة سواء كانت متصلة أو منفصلة وبين العلامات بعضها ببعض لكونها مترابطة).

وقد اجتهد النقاد في محاولة ضبط مفهوم هذا الإبداع الأدبي الجديد والمخالف بمعطياته التكنولوجية فقد عرفته كاترين هيلس بأنه من أنواع الأدب الذي يتألف من أعمال أدبية تنشأ في بيئة رقمية كما تعرفه فاطمة البريكي بأنه جنس أدبي جديد ولد في رحم التكنولوجية لذلك يوصف بالأدب التكنولوجي أو الأدب الالكتروني ويمكن أن نطلق عليه اسم (التكنو –أدبي).

بينما تشير الناقدة المغربية زهور كرام بأن مفاهيم هذا الأدب لا تزال ملتبسة بعض الشيء لكونها حديثة العهد سواء في التجربة العربية أو في التجربة الغربية الرائدة وتعرفه بأنه حالة تطويرية لمسار الأدب في علاقته بالوسيط التكنولوجي الذي يغير من طبيعة النص اللغوي وكذا في مفاهيمه المتعلقة بمنتج ومتلقيه ومن ثم يؤسس لشكل أدبي مغاير تبعا لطبيعة اللغة الجديدة.

وعلى ضوء ما سبق من تعاريف نستطيع أن نجتهد ونضع ملمحًا تعريفيًا للنص الإلكتروني أو الرقمي أو التفاعلي مقترحة أن يكون المصطلح أكثر عمومية وشمولاً والأنسب والأدق– حسب تقديري– للتعبير عن هذا الأسلوب الجديد في عرض النص الأدبي هو مصطلح الأدب الرقمي التفاعلي.

وهو رؤية جديدة للنص الأدبي وللإنسان والكون وللأدب بشكل عام، أساسها التواصل الإنساني والتفاعل الإبداعي الخلاق وعماده الربط بين ما هو إنساني وبين ما هو تقني وهو ناتج عن إفرازات ثورة المعلوماتية الحديثة، واعتبر هذا الوسيط الجديد الذي أدخل اختلافات جذرية على الأدب بما يوفره من تقنيات قائمة على الملتميديا multi-media من صورة وصوت ومؤثرات أخرى جعلت من الأدب إنتاجًا متشعبًا، مقدمًا ممارسة جديدة عي الآن بصدد تشكيل تأريخها

المتميز عن الممارسة القديمة، ولعل تركيزي على صفة التفاعلية وإلصاقها بالأدب الالكتروني يعود إلى كونها جوهر النص الأدبي الرقمي الذي لا يتحقق إلا بوجود ميزة التفاعل.

❖ واقع وآفاق الأدب التفاعلي في الوطن العربي.

بدأت تلوح في أفق الإبداع الرقمي العربي بعض التجارب الإبداعية الرقمية التي حاول أصحابها ردم الهوة وسد الفجوة التي يعاني منها الإبداع العربي في الوسط الرقمي، لكن السؤال الذي يطرح بإلحاح هو ما مدى تعبير أدبنا العربي عن روح العصر الذي نعيشه ؟ وما مدى قدرة المبدع العربي على استثمار معطيات التكنولوجيا لإنتاج أنماط إبداعية تواكب تطورات الحياة المعاصرة ؟

لقد دخلت الدراسات الأدبية مرحلة جديدة من البحث وتولدت مصطلحات ومفاهيم جديدة، لكننا ما نزال بمنأى عن التفاعل معها، أو استيعاب الخلفيات التي تحددها، ظهرت مفاهيم تتصل بالنص المترابط، والتفاعلية، والفضاء الشبكي، والواقع الافتراضي، والأدب التفاعلي، ونحن ما نزال أسيري مفاهيم تتصل بالنص الشفوي أو الكتابي، ولم نرق بعد إلى مستوى التعامل مع النص الالكتروني. «فما يزال دخولنا عصر المعلومات متعثرا بطيئا، ولا يواكبه نقاش معرفي يمكن أن يوجهه ويؤطر مساراته، ويجدد من ثمة رؤيتنا إلى طرائق تفكيرنا وتساؤلنا بصدد مختلف القضايا التي تهمنا، إنّه لا يعقل أن ندخل عصرا جديدا بأفكار قديمة وبلغة قديمة ».[9]

ويرجع سعيد يقطين في كتابه من النص إلى النص المترابط (مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي) مسألة تردي الواقع الأدبي العربي إلى مشكلة التخلف التواصلي، وهذا يعود بشكل أو بآخر إلى وحدات التواصل- بحسب ياكوبسون- فالعملية التواصلية الإبداعية أو غيرها تقوم على أساس تلك الوحدات الثلاثة وهي: المرسل والنص والتلقي، وإذا رجعنا إلى هذه الوحدات سنجد دون شك أن التفاوت حاصل وبخاصة وحدة التلقي، فالعالم ترقّى تواصليا بعد أن تطورت منظومة الاتصال والمعلوماتية عبر الشبكة العنكبوتية وغيرها من الوسائل الحديثة، في حين ما زال النص يرسل من منتجه بالطريقة التقليدية- أي الورقية- فدور النشر تعاني كثيرا من المنتج الرقمي بكل وسائله المخزّنة بالأقراص المدمجة أو المخزونة على الشبكة، لأن أغلب المتلقين عزفوا عن التلقي التقليدي (الورقي) ومالوا بشكل كبير إلى المنتج المنسجم مع التغير الحاصل في المجال التقني، أي منتوج التكنولوجيا وتقنيات المعلوماتية الحديثة. [10]

أما عز الدين المناصرة فيقول: « نحن العرب نعيش مرحلة الدهشة في ظل مرحلة انتقالية يتصارع فيها الورقي مع الالكتروني، ويتصارع القديم من الجديد، وبالتالي فإنّ من خصائص المرحلة الانتقالية العالمية الارتباك والدهشة والقبول والرفض الحاد... فثورة الاتصالات ثورة عالمية لا مثيل لها في التاريخ، وهي التي سوف تحقق التقدّم والحداثة، بالإنسان وبدونه ».[11]

ورغم ذيوع الحاسوب والفضاء الشبكي، وانتشارهما في الفضاء العربي، فإن المتابعة والمواكبة والمساهمة الجادة في هذا التطور، عربيا، ما تزال ضعيفة جدّا، وقاصرة وناقصة.[12]

لذلك فما تزال كتابة (النص المترابط) في ثقافتنا العربية محدودة جدا بل أشبه بالمنعدمة، ودونها الكثير من القيود التي تقلل من أهمية الانتقال إليها في الوعي والممارسة، هذا ليس فقط تعبيرا عن نزوة أو رغبة ذاتية، ولكنه نتاج صيرورة من التطور في فهم النص والوعي به وممارسته. [13]

إن عملية التأليف الأدبي الرقمي تعرف انتشارا مهما في التجربتين الأمريكية والأوروبية بفعل ايجابية الشروط التقنية والمعلوماتية للمجتمعات الأمريكية والأوروبية، والتي تسمح بالانخراط الموضوعي إنتاجا وإبداعا في الثقافة الرقمية، في حين **أن** التجربة العربية ما تزال تعرف بُطأً من حيث إنتاج الإبداع الرقمي، وذلك لأسباب بنيوية ذات علاقة بموقع التكنولوجيا في الحياة العامة والعلمية في المجتمعات العربية، إلاّ أنّه يلاحظ ظهور بعض التجارب الإبداعية القليلة، لكن يسجل على أنّه إنتاج وإن كان ضئيلا، فإنه يعبر عن تحدٍّ حضاري تقني وإبداعي كبير، يفرض شرط احترامه وتقدير ريادته في الزمن العربي الحالي، ولهذا فإنه إنتاج يحرر النقد العربي أيضا من أسئلته المعتادة.

والقارئ العربي انقسم فريقين، ليس على مستوى العامة فقط بل تعدّاه إلى المثقفين، فمنهم من ركب القاطرة وساير الركب تأليفا أو تنظيرا، ومنهم من أبدى تحفظات حول هذا القادم الجديد، لأنّ كل جديد غريب مستهدف، وأن كل مشروع إبداعي جديد لابّد وأن يتعرض للرفض والاستنكار في بداياته، ولكلّ فريق مبرّراته. [14]

فمن مبرّرات الفريق الأوّل أنّ هذا الأدب يعبّر تعبيرا حقيقيا وصادقا عن العصر الحالي، حيث أنّه يتخطّى النمطية ويتجاوز الجمود من خلال فتح آفاق جديدة للإبداع والابتكار، تتصل بمجالات عديدة بوسائل متنوّعة خاصة ما يعرف بالوسائط المتعدّدة، كما أنّه يبوئ القارئ مكانة مرموقة تماثل مكانة المبدع بل ربما تتعدّاها، ممّا يخلق قدرا كبيرا من الحيوية والتفاعل بين أطراف العملية الإبداعية.

كما يؤكّد هذا الفريق على ضرورة الاندماج في الحركة العالمية الجديدة وإلاّ اتسعت الفجوة الرقمية الحاصلة وبقينا على هامش الحضارة، ففي هذا الصدد ترى الناقد الدكتورة زهور كرام أن: « الانخراط في الأدب الرقمي هو مطلب حضاري بامتياز، وليس نزوة أو موضة أو شيء من هذا القبيل، والمسألة محسومة معرفيا وثقافيا وأنتروبولوجيا، فبالعودة إلى مختلف الأشكال التعبيرية القديمة والحديثة أيضا، سنلاحظ أنها وحدها التي عبرت عن قدرتها على احتضان معنى وجود الإنسان في كل مرحلة تاريخية ».[15]

يقول د. السيد نجم في حديثه حول قضايا ومفاهيم الإبداع الرقمي الجديد: « لقد أثارت الثورة الرقمية وما زالت تثير عددا من القضايا والمفاهيم، ولا حيلة أمامنا نحن العرب إلا أن نتفاعل معها ومحاولة فهمها، بل والسعي نحو الإضافة إليها، لقد جاوزتنا الثورة الصناعية ولم نشارك إلاّ كطرف مستهلك فقط، أما الثورة الرقمية بما تتضمنه من مفاهيم وعناصر، فيمكننا اللحاق بها، لنصبح ضمن الدول المشاركة والمنتجة لعناصرها ومعطياتها، وإن سبقنا في ذلك بعض البلدان التي ظننا أنها لا تقدر عليها، فقط ليس أكثر من الفهم لمعطياتها، والصبر على العمل بها، بل والإضافة إليها ».[16]

أما مبرّرات الفريق المشكّك في نجاعة هذا اللّون الإبداعي الجديد، الذي هو بحسب آرائهم جنس هجين لا يمكن تصنيفه، فهو غريب عن العملية الإبداعية، وأنّ فكرة مشاركة المتلقي المبدع في إبداعه هو سلب لحق المبدع، كما أنّه يعتب تعديا صارخا على حقوق الملكية الفكرية، فمثلا يقول الناقد د.سعيد الوكيل: « النوايا الطيبة لا تكفي لأن تصنع

نوعا أدبيا جديدا! أقول هذا ليكون تعقيبا مبدئيا– لا يخلو من مرارة– على ما دأبت عليه الصحافة العربية (المطبوعة والالكترونية) في الفترة الأخيرة، من مطالعتنا بالتبشير بميلاد أدب عربي جديد وبداية عصر الواقعية الالكترونية، بوأن بعض أدبائنا اخترع في إبداعه الأدبي تقنية رواية الواقعية الرقمية، بل وصل الأمر إلى حد الإعلان عن الحاجة إلى مدرسة نقدية توائم بين أبجديات النقد التقليدي، وتقنيات الكتابة الرقمية بأدواتها الحديثة، والتي تشكل الكلمة أحد عناصرها فحسب، وهذه كلها لعَمْري أضغاث أحلام ».[17]

فيما يقول الأديب السوري حسين سليمان عن تجربة الواقعية الرقمية: «لقد غمرني إحساس حين قرأت عن التجربة منذ حوالي سنتين مرفقا بأحد المقاطع من الرواية الرقمية التي كتبها الكاتب، أن هناك قصورا في إدراك ماهية الأدب باعتباره يقوم على الكلمة المكتوبة فقط، إن كانت على الشاشة أم على الورق، فالكلمة المقروءة وفي أضعف حالاتها (المسموعة منها) هي ما يقوم عليها الأدب، الأدب ابن الميثولوجيا السحر، الذي قام بالأصل على الكلمة، وليس على الكلمة والصورة، كما في كتب الأطفال التي تساعد على فهم الكلمة عن طريق استخدام الصورة ».[18]

كما يشكّك حنا جريس في فائدة الكتاب الالكتروني ومن ثمة النص المترابط، حيث يعدد بعض عيوبه، فيقول: « الكتاب الالكتروني ليس أكثر من مجموعة من العلاقات والروابط الكامنة بين نصوص مختلفة، والتي تحيل القارئ إلى علاقات أخرى وروابط أخرى، مما يقلّل من عمل الذاكرة إلى حد بعيد، إلاّ أنه في الوقت نفسه يشتّتها، وهذا هو الخطر الحقيقي للهيبرتكست، كما أن الكتاب الالكتروني يظلّ كيانا افتراضيا لا يستطيع القارئ الإمساك به لأنه ليس كتابا حقيقيا » [19].

ويرى هؤلاء أنّ الفكرة الأساسية التي يقوم عليها هذا الأدب هي إدماج الصورة والصوت والحركة مع الكلمة، وأن المزيّة تعود لهذه الأخيرة، والبقية خدم وتابع لها، بل هناك من يرى أن هذا الأدب خالي من المشاعر الإنسانية.

هذا التوجّس من المنتج الرقمي الأديب محمد سناجلة في مرحلة أولى إلى إعادة طباعة روايته الأولى (ظلال الواحد) ورقيا بعد أن فشلت تجربة نشرها على الإنترنت، وقد ضاع في مقابل ذلك الكثير من مقوّماتها الجمالية.

وبالمقابل ثار نقاش حاد بين النقاد والدارسين العرب حول أوليات الإبداع التفاعلي العربي، بالخصوص ما تعلّق بالشعر التفاعلي، بينما نلمس اتفاقا بينهم حول أولية الإبداع الروائي التفاعلي العربي لصاحب رواية "ظلال الواحد"، الروائي الأردني "محمد سناجلة"، تقول في هذا الصدد الدكتورة فاطمة البريكي: « يعدّ سناجلة بحق، ودون تطرف أو مبالغة، أول روائي عربي يستخدم تقنية (النص المتفرّع) وخاصة (الروابط) التي يتيحها لكتابة (رواية تفاعلية) تعتمد عدم الخطية في سيرورة أحداثها، وبنائها القصصي ».[20]

وتضيف البريكي « إن التجربة العربية الرائد (ظلال الواحد) تعدّ دليلاً مناسبا لإثبات قدرة الأدب على التفاعل مع معطيات العصر، ومعايشتها، والتطوّر بمقتضاها، والانتقال من طور إلى طور، مثله في ذلك مثل بقية الآداب العالمية ».[21]

في حين يظهر جليّا اختلافهم حول القصيدة التفاعلية العربية الأولى، فظهرت بعض المساجلات بين الأدباء والنقاد والدارسين عبر الجرائد الرقمية والمواقع الشخصية والمنتديات[22]، فمنهم من يرى أنّ الأوّل في مجال القصيدة والرواية الرقميتين هو الكاتب محمد سناجلة؛ حيث أكدوا على أنّه: « أول مبدع حاول الخروج بالقلم العربية تنظيرا وإبداعا من مرحلة الدهشة والتساؤل ليزج به في حقل التجريب؛ فهو أول من كتب رواية رقمية ممثلة في "ظلال الواحد"، وأنّه أول من كتب قصيدة رقمية جاءت متضمّنة ضمن روايته الثانية "شات"، وهذا التضمين يجعلها تابعة للرواية ومكملة لمعناها لمنه لا ينفي عنها هويتها الشعرية ولا قصب السبق ».[23]

يقول السيد نجم: « يحتوي نصي "شات" و"صقيع" على قصائد رقمية يمكن اعتبارها أولى القصائد الرقمية في الأدب العربي، وتأتي ضمن البنية السردي للعمل نفسه وجزء عضوي منه، وهو ما يعد بُعدا إبداعيا ونفسيا للعمل، وإضافة جادة ».[24]

بينما يرى البعض الآخر أنّ النصين الأخيرين لسناجلة قد تضمّنا نصين شعريين قصيرين، لكنهما ليسا شعرًا لأنهما أصلاً من ضمن بنية السرد، حاله في ذلك حال أي عنصر من عناصر البناء النصيّ، فهو اشتغال بنائي يدخل ضمن ما يعرف بـ (تداخل الأجناس)، وأنّ الريادة الشعرية التفاعلية تعود إلى الشاعر العراقي مشتاق عباس معن، وذلك بإنجازه أول قصيدة عربية تفاعلية معنونة بـ:تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق. [25]

كما ذهبت الدكتورة فاطمة البريكي إلى أنّ « تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق هي الأولى عربيًا، والتي طال انتظارها كثيراً من قبل جميع المهتمين بالأدب التفاعلي في العالم العربي، وقد أثمر هذا الانتظار مجموعة شعرية كاملة، وقد كان منتهى أملنا قصيدة... إنها تجميع بين أهم عنصرين يجب أن يتوافرا في النصوص الأدبية التفاعلية، وهما: الأداة الفنية، والأداة التقنية، وأقصد بالأولى الموهبة، والملكة الأدبية الحقيقية، فيما أقصد بالثانية العناصر التكنولوجية التي تكسب النص صفة التفاعلية، بحيث تكون جزءًا من بنية النص، ومؤثرة على نحو أصيل في معناه الكلي، وليست مجرد "ديكور" خارجي ».[26]

أما الدكتور علاء جبر محمد فيقول: « إنّه النصّ الأول من نوعه خانة (الشعر التفاعلي) بالعربية في العالم كله، تخيّل أننا في عصر بداية التكوّن الحضاري، ونملك أول نص شعري، فماذا يجب أن نفعل حياله وحيال كاتبه، تخيّل هذا الأمر وأنت تقرأ نص (تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق) للشاعر المبدع مشتاق عباس معن، فهو أيضًا أول من كتب فينا قصيدة تفاعلية/ رقمية/ شبكية ».[27]

ويقول الناقد محمد أسليم معلّقا على التجربة العربية في إنتاج النصوص الرقمية «تجربة سناجلة تبقى رائدة في العالم العربي بالنظر إلى أنه أصدر ثلاثة أعمال لحد الآن، وله رابع قيد الانجاز... وكلّها نصوص يتداخل فيها السردي بالشعري، ما يعني أنه شق طريقه في الأدب الرقمي، بخلاف أسماء عربية أخرى، تراوح تعاملها مع هذا النوع من الكتابة بين التجريب الذي أفضى إلى إنتاج عمل واحد لا غير على نحو ما نجد عند أحمد خالد توفيق، صاحب قصة (ربع مخيفة) ومحمد اشويكة صاحب نص (احتمالات)، والعراقي مشتاق معن صاحب قصيدة تباريح رقمية لسيرة بضها أزرق ».[28]

هذا عن الإبداع الرقمي العربي فماذا عن الآفاق المستقبلية؟

حتى يرسّخ الإبداع الرقمي العربي قدمه في هذه الأرض الرخوة لابد من اتخاذ إجراءات منها:

- ضرورة الوعي بأهمية الوسيط الرقمي في هذا العصر.
- إدراج مادة المعلوميات في المناهج التعليمية، وإقامة الملتقيات والندوات والورش الفنية للتعريف بالأدب المقدم عبر الوسيط الرقمي من جوانبه المختلفة.
- استثمار علاقة الجيل الجديد بالتكنولوجيا لتقريبهم من الأدب، وذلك باستقطاب الأساتذة المتخصصين في هذا المجال عربيًا وعالميًا، وفتح النقاش ومجال التجربة أمام الشباب.
- ضرورة انفتاح الجامعة على هذا الإبداع الجديد، بانتهاج طرائق جديدة من خلال وسائل جديدة يتيحها الوسيط الجديد.
- دعم الجهود الرامية إلى التعريف بالأدب الرقمي، من خلال تشجيع الإبداع الرقمي والبحوث المتخصّصة، وإصدار الدوريات والمجلاّت لمتابعة ما استجد في هذا المجال.
- محاولة تقديم الأدب من خلال الوسائل التكنولوجية، حتى إن كان من خلال ترجمة النصوص الأجنبية المتوافرة على الشبكة مجانًا، وتقديمها كما هي، لمجرد التعريف بالنمط.

خاتمة:

نستطيع أن نجزم أنّنا نعيش الآن عصرا رقميا بمعنى الكلمة وبكلّ ما توحيه من دلالات، وأصبحنا في أمسّ الحاجة لأن نعي هذا التحوّل، وندرك أبعاده ومراميه، فلكلّ عصر ما يوافقه من وسائل وأدوات وطرائق وسبل وآليات تكفل معرفة تفاصيلة، هذا التحوّل مسّ كلّ جوانب الحياة، خاصة ما اتصل بوسائل التواصل وآليات التبليغ، واللغة كما هو معروف تأتي على رأس هذه الوسائل، بكل مستوياتها، خاصة الأدب، باعتبار أن الأدب لغة من مستوى عال، كما أنه (الأدب) يعبّر بصورة صادقة عن الإنسان وما يكابده في هذه الحياة، وطبعا الأدب هو الأدب ما يتغير عبر العصور هو الأداة، التي تزيد في تجليته وتقريبه من متلقيه، فمن الحافظة إلى الورق إلى الحاسوب، تغيرت الأداة مع نمط معيشة الناس ونظرتهم لما يحيط بهم، لكن الأدب بقي ثابتا يعبر عبر المشاعر والأحاسيس في قالب فني متنوع، لكن في عصرنا هذا دخل الأدب في عالم جديد وهو عالم الرقم، بعد أن ألف الإنسان الحبر والورق والطباعة لقرون عديدة، هذا العالم المنفتح على عوالم متعددة أو ما يعرف بالوسائط المتعددة، التي جعلت الحاسوب (الوسيط الجديد) يتجاوز كونه مجرد أداة يقدّم من خلالها النتاج الأدبي إلى دخوله معترك الأدبية، حيث أصبح جزءا من جسد النص الأدبي، من خلال الإمكانات الهائلة التي يتيحها، في ربط أجزاء النص، فتولد عن هذه الخاصية نصا جديدا يعرف بالنص المترابط، والنص المترابط يمثل آلية جديدة لاكتشاف أدق وفهم أعمق للحياة الراهنة بما تملكه من لحظات التجدد والاستمرار، كما يمثل قفزة نوعية نحو خلق بلاغة جديدة على إنسان القرن الواحد والعشرين إدراك قواعدها وتذوق معطياتها وجمالياتها، لأن ذلك كفيل أن يشكل نوعا ن المشاركة القصدية بين منتج النص ومتلقيه، في تفاعل لم ير له مثيل فيما سبق، الشيء الذي يخلق تناسقا وانسجاما بين الموجود والمبتغي، ويعطي فرصا للإبداع بين المنتج والمتلقي على قدم المساواة، في دورة إبداعية بين الطرفين تقوم على التكامل والتفاعل الايجابي، غير أنه لابد من الإشارة إلى أنه آن الأوان للتوجه نحو فهم ووعي هذا النص، وتجاوز ذلك

التوجس الذي يعيشه المثقف العربي والتعصب للورق، خوفا من ضياع تراث قرون، لكن أن نبني مستقبلا لا يعني البتة التنصّل من الماضي، والذي يظهر لي أنّ الأدب الورقي سيبقى راسخ القدم في المسيرة الإبداعية البشرية جنبا إلى جنب مع هذا الوافد الجديد، الذي لا يملك كل المهلات التي تخوله أن يتبوّأ المكانة التي هو عليها الأدب الورقي، على الأقل في هذه الآونة.

الهوامش:

[1] حسن سلمان، الأدب الرقمي يطالب بحقوقه المهدورة، جريدة الشرق الأوسط، العدد 10627، الأربعاء 24 ذو الحجة 1428هـ: 2 يناير 2008. http://www.asharqalawsat.com/sections.asp?section=1&issueno=10627.

[2] محمد سناجلة، رواية الواقعية الرقمية sanajleh@arab-ewriters.com

[3] محمد حسين حبيب، نظرية المسرح الرقمي http://www.arab-ewriters.com?action=ShowWriter&&id=150.

[4] نورا غريب، الثقافة التكنولوجية غيرت ايقاع التعامات الفردية والجماعية، http://www.alelam.net/New/printeopy.php?id=1738&kind=C

[5] ينظر: محمد سناجلة، صقيع، www.arab-ewriters.com/saqee3

[6] ينظر: السيد نجم، النص الرقمي وأجناسه (قراءة في واقع منتج النص الرقمي في العالم العربي)، http://forums.arab-ewriters.net/viewtopie.php?t=2659&start=&0&postdays=0&postorder=asc&highlight=&sid=a9b8d3864d83c87c95a242c272cclc.

[7] فاطمة البريكي، أول رواية تفاعلية في الوطن العربي، جريدة الغد، 2005/6/3، http://www.alghad.jo/index.php?news=26062.

[8] محمد سناجلة، رواية ظلال واحد، www.Sanajlehshadows.8k.com

[9] سعيد يقطين، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، ص 96.

[10] ينظر: سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط (مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي)، ص 23 وما بعدها.

[11] عز الدين المناضرة، علم التناقص المقارن (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2006، ص 723.

[12] سعيد يقطين، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، ص 87.

[13] سعيد يقطين، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، ص 87.

[14] للتفصيل ينظر: فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 129-133.

[15] حسن سلمان، صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، http://www.odabasham.net/cat.php?catid=13.

[16] السيد نجم، "الثقافة والابداع الرقمي.. قضايا ومفاهيم"، http://www.odabasham.net/cat.php?catid=13

[17] سعيد الوكيل، خرافة اسمها الواقعية الالكترونية، صحيفة أخبار الأدب، وينظر الرد عليه: محمد سناجلة، عن التفاعلي والترابطي والرقمي والواقعي الرقمي، http://www.doroob.com/?p=4857 .

[18] حسين سليمان، محمد سناجلة والكتابة الرقمية وتغييب مفهوم الأدب، صحيفة القدس العربي.

[19] حنا جريس، كتاب (مستقبل الثورة الرقمية)، ص 128.

[20] فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 122.

[21] فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 128.

[22] ينظر: إحسان التميمي، منهج القفز على الحقائق (مراجعة لمقال الريادة الرقمية)، جريدة المدى، http://www.almadapaper.com

[23] ينظر: لبيبة خمار، الريادة في القصيدة، الرواية الرقمية
http://ewriters.,et/viewtopic.php?t=3230&star=0&postdays=0&postorder=ase&highlight

[24] السيد نجم، النص الرقمي وأجناسه، http://forums.arab-
ewriters.net/viewtopic.php?t=2659&start=0&postdays=0&postorder=asc&highlight=&sid=a9b8d3b3864d83c87
.c95a242c272cclc

[25] محمد أسليم، http://www.alnakhlahlahwaaljeeran.com/111111-moshtak.htm.

[26] فاطمة البريكي، المولود التفاعلي البكر وفرحة الانتظار، http://www.middle-east-online.com/?id=54110

[27] فاطمة البريكي، المولود التفاعلي البكر وفرحة الانتظار، http://www.middle-east-online.com/?id=54110

[28] ينظر: محمد أسليم، http://www.aslim.org